البابُ الحادي والعشرون

في نصيحةِ أهلِ السلوكِ للأمراء والملوك

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾[1].

وقال النبيّ ﷺ: «الدين النصيحة».

وقال عليٌّ بنُ أبي طالب ﷺ: من لم ينفعْه الحقُّ ضرَّه الباطلُ، ومَنْ لم يَسْتَغْنِم الهدى حارتْ به الضلالةُ، ألا وإنكم قد أُمرتُم بالظعن، ودُللتم على الزادِ، وإنَّ أخوف ما أخافُ عليكم اتباعُ الهوى، وطولُ الأملِ.

وقال عتبة بن أبي سفيانَ: اعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم، فأصلحوا لنا ما ظَهَرَ، حتى نَكِلَكُم إلى اللهِ فيما بَطَنَ، وأظهروا خيراً وإن أسررتم شراً، فإنكم حاصدون ما أنتم زارعون.

قال: وكتب أبو المتوكل: إلى عمرَ بنِ عبدِالعزيزِ، فكان في كتابه: اعتصمْ باللهِ يا عمرُ اعتصامَ الغريقِ مما ينجيه من الغرقِ، وليكنْ دعاؤك دعاءَ المضطَّرِ المشْرِفِ على الهَلَكَةِ، فإنكَ أصبحتَ عظيمَ الحاجةِ، شديدَ الإشراف على المعاطِبِ.

قال: وكتبَ عمرُ بنُ عبدِالعزيزِ إلى يزيدَ بنِ عبدِالملكِ: إياكَ أن تدركَ الصرعةَ عند الغِرَّةِ، فلا تُقالُ العَثْرةُ، ولا تُملَكُ الرجعةُ، ولا يحمَدُك من خلَّفت ممنْ تركتَ، ولا يعذرك مَنْ تقدَّم إليه بما اشتغلت.

---

(1) المائدة: الآية (8).

قال: وكتب عمرُ ﷺ إلى أبي موسى الأشعريِّ: إياكَ أن يكونَ مَثَلُك مَثَلَ البهيمةِ كلما نظرتْ إلى الأرضِ خَضِرَةً رتعتْ فيها تلتمس السِّمَنَ في ذلك، وإنما حتفها في سِمَنِها، والسلام.

قال: وكانَ بعضُ الملوكِ الأُوَلِ ينادي كلَّ يومٍ في أهلِ مملكتِه ثلاثَ مراتٍ، يقول: غافِصُوا الأمورَ قبل إمكانها، وكِلُوا الأمورَ إلى أربابها، ولا تكلفوا قلوبَكم هَمَّ ما لم يأتِ، تقتيرُ المرءِ على نفسهِ توفيرٌ في خزانةِ غيرِه، كم من جامعٍ لبعلِ زوجتهِ، يقولها في كل يومٍ ثلاثَ مراتٍ.

وقال معاوية ﷺ: الناسُ على أربعةِ أصنافٍ؛ منهم من لا يمتنعُ الفسادَ إلا مهابةَ نفسهِ، وكلال حَدِّه، يَقُوده رضا بالدنيا عوضاً لما عند الله، فبئسَ متجرُهم، ومنهم من طلبَ الدنيا بعملِ الآخرةِ، فزخرفَ نفْسَه للأمانةِ، واتخذ سُنةَ اللهِ ذريعةً إلى المعصية، ومنهم مَنْ أقعدَتْهُ عن طلبِ المالِ صَولةٌ في نفسِه، وانقطاعُ سببِه فتحلى باسم القناعة، وتزيَّنَ بلباس الزِّهادِة، وليس ذلك مِن معدِنٍ، وبقيَ رجالٌ أغضَّ أبصارَهم ذِكْرُ المرجعِ، وأسالَ دموعَهم خوفُ المحشر، فهم بين شديدٍ بادٍ، وخفيٍّ مُفتقدٍ.

الحكاية

حُكي: أن ابن عَبّاس دخلَ على عمرَ يوماً، فوجدَه حزيناً ينظر إلى السماء، وَتَنَفَّسُ تنفُسَ الصُعَداء، فقال: يا أميرَ المؤمنين؛ لعلك يُهِمُّك أمرُك مِنْ بعدِك؟ قال: أجل، وما أخذَ له موضعاً، فذكرت أحداً من بني هاشم، فقال: هو أولى الناسِ بها لولا أنَّ به دُعابة.